الفصل الرابع

مواقف الإدارة الفرنسية من لغة القرآن الكريم

1 - اللغة العربية وتعليم اللغة الفرنسية

2 - كساد التعليم الفرنسي
واتخاذ اللغة العربية وسيلة لإصلاحه

3 - فشل محاولات خنق التعليم العربي

كانت المستعمرات الفرنسية في إفريقيا الغربية في سنة 1854 تشمل جزيرة غوري وبعض المناطق التابعة لها، مثل: ريفيسك، وجوال، وبورتيدال، وسان لويس، وبعض النقاط التجارية على نهر السنغال. أما في سان لويس فكان الفرنسيون يدفعون ضريبة سنوية للقبائل الموريطانية. واستمر الوضع كذلك حتى عهد فيديرب[1]. الذي قضى نهائيا على دفع الضريبة للقبائل الموريطانية في السنغال بواسطة حملاته العسكرية التي شنها على القبائل المذكورة[2].

ويعتبر فيديرب أول فرنسي سيطر على الأحداث السياسية المحلية في السنغال، وذلك منذ بداية سنة 1854م. وكانت التوسعات العسكرية التي قام بها في إفريقيا الغربية انطلاقا من السنغال، قد شكلت خطوة هامة في ميدان السيطرة الفرنسية على المنطقة. وتوسعات فيديرب هذه أخضعت مناطق واسعة في إفريقيا الغربية للنفوذ الفرنسي المباشر[3].

وقد قدر فيديرب نفسه عدد سكان إفريقيا الغربية الذين كانوا يخضعون لنفوذ الإدارة الفرنسية في سنة 1856 بما يقرب من 50.000 نسمة[4].

وفي ظرف عشر سنوات استطاع فيديرب أن يفرض سيطرته التامة على السنغال، وأن يكوّن جيشا[5] من الأهالي السنغاليين لمحاربة زعماء المقاومة في المنطقة. وقد

---

(1) FAIDHERBE Louis Léon César. (*)

(*) «ولد فيديرب في مدينة ليل يوم 3 يونيو 1818 وتوفي في باريس يوم 29 سبتمبر 1889 م».

(2) WILLIAM B. COHEN: Empereurs sans sceptre Paris 1973 P. 22.

(3) WILLIAM B. COHEN: PP 23 - 24.

(4) ABCHIVES: S. O. M. Paris Dossier SENEGAL No 10.(*)

(*) انظر تقرير فيديرب بتاريخ 9 يولية 1856 ـ ملحق.

(5) أنشئ هذا الجيش بقرار 21 - 7 - 1857 وقد كان يتكون من ست كتائب في سنة 1861.

لعب هذا الجيش الذي أنشأه فيديرب دورا حاسما في إخضاع مناطق واسعة للنفوذ الفرنسي[1].

وإلى جانب النشاط السياسي والعسكري الذي قام به فيديرب في المنطقة، فقد وضع الركيزة الأولى للتعليم الفرنسي في السنغال، حيث أسس سنة 1855 مدرسة الرهائن، التي تختص بتعليم أبناء رؤساء القبائل المناوئين للاحتلال الفرنسي في البلاد، وقد كونت هذه المدرسة في ظرف 15 خمس عشرة سنة ما يقرب من 100 إطار سنغالي من الدرجة الثانية[2]. كما فتح مدرسة ملائكية ابتدائية إلى جانب المدرسة التي كانت موجودة قبل مجيئه إلى السنغال. وبقيت المدرسة هذه الوحيدة من نوعها لعدة سنوات في البلاد[3].

وقد ازداد اهتمام الإدارة الفرنسية بميدان التعليم بعد فيديرب، وأنشأت مؤسسات تعليمية عديدة في بعض المراكز الهامة في السنغال، وغيره من المستعمرات الفرنسية في إفريقيا الغربية[4]. غير أن التعليم الفرنسي في المنطقة لم ير تطورا مثل الذي رآه في عهد الجمهورية الثالثة، بحيث أنشئت المدارس في كامل المراكز الكبرى للسنغال، وذلك قصد تكوين الأهالي السنغاليين للوظائف الإدارية ووظائف الترجمة على جميع مستوياتها. وخلال هذه المرحلة يبدو أن الإدارة الفرنسية قد قررت فتح أبواب مدارسها لكل السنغاليين، دون أي تمييز طبقي أو عنصري[5].

ويبدو أن سبب انتشار التعليم النسبي في عهد فيديرب يرجع أساساً إلى أنه فصَله عن الدين؛ ذلك لأن الآباء البيض لم يتمكنوا من الاقتراب روحياً وثقافياً

---

(1) DELAVIGNETTE: Les techniciens de la colo. VENDOME/ 1945/P 87.

(2) DELAVIGNETTE: P. 87.

(3) A. GOUILLY: P. 129.

(4) فتح الكولونيل قاليني (GALIENI) بعد توليه إدارة السنغال مدرسة باكال (BAKEL)، وكايس (KAYES)، ومدين (MEDINE)، وبافولا بي (BAFOULABE)، وكيتا (KYTA) وغيرها.

(5) A. GOUILLY: P. 129 et suite.

من الفرد الإفريقي بسبب تعصبهم الديني من جهة، وربط التعليم بالدين من جهة أخرى، إضافة إلى التعصب الاجتماعي الذي كانوا يبدونه في شتى الميادين، والمناسبات العديدة[1].

وعلى الرغم من ذلك وقف بعض الكتّاب موقفاً متشائماً من سياسة السيد فيديرب في إفريقيا وأعتبروها مرنة كثيرا إزاء قضية الدين الإسلامي والتعليم العربي في البلاد. ولقد ندد هؤلاء بسياسة هذا الأخير في أكثر من مناسبة[2].

وفي الواقع فإن الحقيقة ليست كما يدعي المؤلفون الفرنسيون، لأن سياسة فيديرب في السنغال كانت تهدف بالدرجة الأولى إلى فرض التعليم الفرنسي وترقيته بين الأوساط السنغالية وذلك على حساب التعليم العربي[3]. الشيء الذى سيتضح جليا في قرار 22 يونيه 1857 الذي أصدره فيديرب، والذي ستتبعه قرارات أخرى تأتي لتنظم أحسن فأحسن التعليم الفرنسي بصفة خاصة في السنغال، والمساعي الاستعمارية الفرنسية لضرب لغة القرآن في غرب إفريقيا.

قرار 22 يونيو 1857 :

أصدرت الإدارة الفرنسية قرار 22 يونيو 1857 تحت عنوان: (إصلاح التعليم في الكتاتيب القرآنية) غير أن محتوى هذا القرار الأخير كما سيأتي يتناقض تماما مع عنوانه.

ويمكننا أن نلخص قرار فيديرب هذا كما يلي[4]:

1- نص القرار على أنه ابتداءً من تاريخ صدوره، لا يستطيع أي شخص أن يباشر مهنة التعليم في الكتاتيب القرآنية في السنغال بدون ترخيص خاص يمنح له من طرف الحاكم العام للبلاد نفسه. ولكي يتحصل المترشح لمهنة

(1) D. BOUCHE: P. 279 et suite.

(2) A. GOUILLY: P. 135.

(3) انظر في هذا الصدد كذلك قرارات حكام السنغال: فاليير (VALIERE) وماتيفير (MATHIVER) وجوبير (JOUBER) وقي ريسون (GUY - RISSON).

(4) D. BOUCHE: P. 290 et suite.

التعليم في الكتاب على هذه الرخصة يجب أن تتوفر فيه بعض الشروط، وأن يخضع لبعض المقاييس. وفيما يخص مثلا مدينة سان لويس تمنح رخص التعليم في الكتاتيب القرآنية للأشخاص المترشحين لهذه المهنة، والذين هم أصلاً من سان لويس نفسها، أو يكونوا قد أقاموا بها مدة من الزمن لا تقل عن سبع سنوات.

2- لا يتحصل أي شخص مترشح للتعليم في الكتاتيب على رخصة تفوض له مباشرة عمله، إلا إذا توفرت فيه شروط ثقافية ومهنية معينة، وذلك بعد أن يمتحن المترشح من قبل لجنة خاصة، تتكون من شيخ البلدية، وشخصية دينية إسلامية، ومواطن سنغالي مثقف ثقافة عربية عالية.

3- على كل مترشح للتعليم في الكتاتيب أن يصاحب طلبه بشهادة تثبت حسن سيرته وأخلاقه[1]، تسلم له من طرف شيخ البلدية التي يسكن فيها؛ ولا تسلم هذه الشهادة إلا بعد تحريات دقيقة تقوم بها مصالح البلدية المعنية بالأمر.

4- وقد نص القرار على أن «اللجنة الثقافية ـ البيداغوجية» التي تمتحن المترشحين لمهنة التعليم في الكتاتيب القرآنية، هي التي تتولى مراقبة الكتاب في السنغال وتفتيشها من حين لآخر.

5- وبموجب قرار يونيه 1857 أصبح لزاما على كل معلمي الكتاتيب القرآنية أن يبعثوا شهريا بقائمة تلاميذهم إلى الإدارة الفرنسية المعنية بالأمر[2].

6- أما المادة رقم خمسة من نفس القرار، فقد تنص على أنه لزاماً على كل معلمي الكتاتيب القرآنية أن يرسلوا تلاميذهم الذين بلغوا سن الثانية عشرة

---

(1) والمقصود بذلك هو السلوك السياسي للمترشح وموقفه من الاحتلال الفرنسي للبلاد.

(2) والهدف من بعث القوائم هو تسهيل المراقبة عند الحاجة وضبط الإحصاءات لإدراك أهمية الكتاب في البلاد، إن كانت هذه موجودة.

أو أكثر إلى الدروس الفرنسية المسائية، التي تقوم بها مدارس الرهبان البيض أو المدارس الملائكية[1].

7- وقف قرار فيديرب من الازدواجية في الكتاتيب القرآنية موقفاً سلبياً، ومنعها منعاً باتاً. كما أنه نص على أن يكتب على مدخل كل الكتاتيب العبارة التالية: «مدرسة عربية»، وذلك ليسهل التعرف عليها وإحصائها بدون عناء.

8- وأخيراً يشير القرار إلى أن مهنة التعليم في الكتاتيب القرآنية يستطيع الرجل، كما تستطع المرأة ممارستها، شريطة أن تتوفر في هذه الأخيرة الشروط المطلوبة وأن تمتثل لبنود القرار المذكور.

إن سياسة السيد فيديرب إزاء التعليم العربي في السنغال تتضح جلية من خلال قراره الذى أصدره بتاريخ 22 يونيو 1857، ومن خلال سرد بنود القرار الأخير. تتضح سياسة صاحبه، التي كانت تخدم بالدرجة الأولى المصالح الفرنسية في السنغال دون سواها. ولم يعدل السيد فيديرب قط عن الخط السياسي الذي رسمته فرنسا لنفسها في البلاد، وذلك عكس ما يدعيه بعض المؤلفين الفرنسيين[2].

ومهما يكن من أمر، فالفضل يرجع إلى السيد فيديرب في إرساء قواعد التعليم الفرنسي في السنغال. وقد اتخذ التعليم الفرنسي في عهده صبغة خاصة تميزت بالجدّية في ميدان العمل، وفتح المدارس الملائكية الفرنسية، ذلك لأن السيد فيديرب على ما يبدو لم يَرْتَح لاحتكار البعثات التبشيرية الفرنسية لقطاع التعليم في البلاد من جهة، وفتور هذا القطاع الأخير من جهة أخرى، الذى كان مدمجا كليا في الدين وتوجهه الكنيسة حسب اتجاهاتها وطموحاتها السياسية الخاصة بها[3].

---

(1) لجأت الإدارة الفرنسية إلى هذا القرار لجذب الأطفال السنغاليين إلى مدارسها، في وقت تدهور التعليم بها.

(2) انظر الفونس غوي: ص 135 وما بعدها.

(3) G. HARDY: L'Enseignement au Senegal (thèse) P. 266.

وفي الحقيقة فإن فكرة فصل التعليم عن الدين، إنما هي وسيلة اتخذها فيديرب لجذب الأطفال السنغاليين وخاصةً منهم المسلمين إلى المدارس الفرنسية[1]. وقد اتخذ فيديرب الكتاتيب القرآنية هي الأخرى كوسيلة للتقرب من الأهالي السنغاليين المسلمين وذلك لجعلهم يلتحقون بالمدارس الحكومية الفرنسية[2]. علماً بأن الأهالي السنغاليين حتي هذا العهد لم يعطوا أي اهتمام يذكر لتعلم اللغة الفرنسية[3].

ويبدو أن الخط السياسي الذي رسمه فيديرب لقطاع التعليم في السنغال قد استوحاه من كتاب[4] ألفه السيد فريديريك كارير[5] (F. CARRERE) وبول هول (P. HOLLE) ويمكن تلخيص ما جاء من أفكار هامة في كتاب السيدين كارير (F. CARRERE) وهول (P. HOLLE) كما يأتي[6]:

1- يرى المؤلفان أنه من الضروري طرد كل معلمي الكتاتيب القرآنية (الغرباء) من السنغال، ويقصدان بذلك المعلمين الذين قدموا إلى البلاد من مختلف أنحاء إفريقيا الشمالية، والذين يمارسون مهنة التعليم هناك، اعتقاداً منهما أن هؤلاء المعلمين يشكلون خطراً على مستقبل الحضارة الغربية في السنغال من جهة، وهم الذين يحرضون الأهالي السنغاليين على عدم الإقبال على تعلم الفرنسية في المدارس الحكومية.

2- يلح كارير (F. CARRERE) وهول (P. HOLLE) في كتابهما على اتخاذ إجراءات صارمة ضد مهنة التعليم في الكتاتيب القرآنية؛ وضد كل من يمارس هذه المهنة من السنغاليين في البلاد.

---

(1) G. HARDY: Même Page:

(2) انظر محتوى قرار 2 يونيو 1857 ـ السابق.

(3) J.L. MONTEZER: P. 39 et suite.

(4) F. CARRERE et P. HOLLE: De Ia SENEGAMBIE Francfaise Paris 1855.

(5) فريديريك كارير: موظف بالإدارة الفرنسية، رئيس مصلحة الشئون القضائية بمدينة سان لويس.

(6) بول هول: رحالة فرنسي عسكري مخضرم كان يسكن في مدينة سان لويس.

3- وفي صدد نشر التعليم الفرنسي بين الجماعات السنغالية، يقترح المؤلفان فتح المدارس الفرنسية في كل حي من أحياء مدينة سان لويس، وغيرها من المراكز الهامة في السنغال؛ وإقرار إجبارية التعليم الفرنسي في هذه المدارس.

4- وفي مجال جذب الأطفال السنغاليين إلى المدارس الفرنسية يرى كارير (F. CARRER) وهول (P. HOLLE) أنه يمكن توظيف معلمي اللغة العربية بصفة مؤقتة في المدارس الفرنسية، وذلك لتعليم اللغة العربية في هذه المدارس الأخيرة ليطمئن التلاميذ والآباء معاً لهذه المؤسسات، وهكذا حتى يتم التسيير الفعلي للمدارس الفرنسية في السنغال، ويألف التلاميذ السنغاليون هذه المؤسسات الأخيرة. وبألفة التلاميذ لهذه المؤسسات وتعودهم عليها تنتهي مهمة معلمي اللغة العربية في المدارس الفرنسية.

5- وقف كارير (CARRER) وهول (P. HOLLE) من الدين الإسلامي في السنغال موقفا مناوئاً، وذهبا إلى القول بأنه هو «سبب تأخر كثير من السنغاليين أو أن الإسلام هو الذي حال دون تقدمهم وتحضرهم، لحد أنه جعلهم (برابرة)».

كما تمنى كارير (CARRER) وهول (P. HOLLE) هدم مسجد مدينة سان لويس الذي بنى سنة 1847م[1]. أما فيما يخص إنشاء المحاكم الإسلامية في السنغال، فقد وقف المؤلفان موقفا مضادا من هذه الفكرة. وأخيراً تشاءم كارير (F. CARRER) وهول (P. HOLLE) في كتابهما المذكور من اللباس التقليدى في السنغال[2].

---

(1) ABCHIVES: S. O. M. Paris Dossier SENEGAL No 10.(*)

(*) انظر كذلك في هذا الصدد تقرير السيد باربى بتاريخ 29 مايو 1856، المسئول السامي للبعثات التبشيرية فى السنغال ـ ملحق ـ 2.

(2) D. BOUCHE: P. 279.

لقد قرأ فيديرب كتاب كارير وهول هذا، ثم بعثه إلى وزير المستعمرات الفرنسية، معلقاً على أهم ما جاء فيه من أفكار[1].

وتأثر فيديرب بأفكار كارير وهول السابقة، ونفذ برنامجهما[2]. وذلك ما يتضح في القرار الذي أصدره بتاريخ 22 يونيو 1857، الذي يتعلق (بتنظيم التعليم العربي في السنغال).

1- اللغة العربية وتعلْيم اللغة الفرنسية:

أدركت الإدارة الفرنسية أهمية اللغة العربية[3] والمكانة المرموقة التي تتمتع بهما بين الأوساط السنغالية[4]. فعمدت هذه الأخيرة إلى اتخاذ اللغة العربية وسيلة لجذب التلاميذ السنغاليين إلى مدارسها، واتخذت من أجل بلوغ هدفها عدة إجراءات، منها تعليم اللغة العربية في مدارس الرهبان البيض، وذلك ليطمئن التلاميذ السنغاليون، ولا ينفرون من أشخاص غرباء عنهم، لغة ودينا وفكرا[5].

وتعلم بعض الرهبان اللغة العربية، وذلك ليتمكنوا من الاتصال المباشر بالسنغاليين عن طريق التخاطب والتفاهم معهم، وتعلم هؤلاء الرهبان البيض اللغة العربية[6]. أحياناً عند معلمي الكتاتيب القرآنية في البلاد. وقد لجأت الإدارة الفرنسية إلى استعمال بعض المعلمين الفرنسيين الذين يعرفون العربية لتدريس هذه اللغة الأخيرة في مدارسها في السنغال[7].

---

(1) D. BOUCHE: P. 279.

(2) قارن بين ما جاء في كتاب كارير وهول وقرار فيديرب بتاريخ 2 -6 - 1857.

(3) V. MONTEUIL: P. 222.

(4) ABCHIVES: S. O. M. Paris Dossier SENEGAL No 10.(*)

(*) انظر تقرير فيديرب بتاريخ 9 - 7 - 1956 ملحق 3.

(5) D. BOUCHE: PP. 313 - 315.

(6) من الرهبان البيض الذين يتعلمون اللغة العربية عند معلمي الكتاب: القسيس اندري كورينى (Ie Fr. A. CORSINI)، وكان يعلمها بدوره للتلاميذ في أديرة بالورمال.

(7) D. BOUCHE: PP 313 - 315.

ومن هؤلاء المعلمين الفرنسيين الذين استعملتهم الإدارة الفرنسية لتدريس اللغة العربية، السيد إنجيلي (ENGELY)، الذي قدم إلى السنغال في سنة 1883. وقد علّم هذا الأخير في مدينتي سكيكدة وعنابة، بالجزائر. غير أنه يبدو أن هذا المعلم الفرنسي لم ينجح[1] في مهمته واضطر أن يغادر السنغال في السنة الموالية، أي سنة 1884.

والملاحظ هو أن السيد إنجيلي كان مناوئا أشد المناوأة للغة العربية وانتشارها في السنغال، وقد اقتصرت مهمته خلال السنة الوحيدة التى قضاها في السنغال على بث الدعاية بين التلاميذ للإقبال على تعلم اللغة الفرنسية وعدم النفور منها، وذلك على حساب اللغة العربية[2].

وإلى جانب قرار فيديرب[3] السابق، الذى في مجمله جاء ليدعم ركائز التعليم الفرنسي في السنغال، وعرقلة التعليم العربي قدر ما أمكن، أصدر الحاكم العام للسنغال السيد فالبير (VALIERE) قرارا بتاريخ 28 فبراير 1870 ينص على إجبارية تعلم اللغة الفرنسية على مسلمي الكتاب أنفسهم، وذلك ليعلموا بدورهم هذه اللغة الأخيرة لتلاميذهم في الكتاتيب القرآنية[4].

وقد نص قرار فالبير المذكور على أن الأطفال الذين يزاولون تعليمهم العربي في الكتاتيب القرآنية في السنغال، والذين لا يستطيعون التمكن من اللغة الفرنسية في مدة لا تفوق السنتين يطردون من هذه الكتاتيب، يتعلمون اللغة الفرنسية فقط في المدارس الحكومية[5].

---

(1) يبدو أن السيد إنجيلي لم يكن متمكنا من اللغة العربية الشيء الذي أدى بالحاكم العام أن يبدي استياءه إزاءه وطلب من وزير المستعمرات أن يضع حدا لمهمته في السنغال.

(2) D. BOUCHE: Opj ut; P. 314.

(3) انظر قرار 2 - 6 - 1857 الذي أصدره السيد فيديرب.

(4) D. BOUCHE: Opj ut; P. 313 - 314.

(5) D. BOUCHE: P. 298.

أما عن رخص التعليم في الكتاتيب القرآنية فبموجب قرار فاليير هذا، أصبحت لا تمنح لأي مترشح للتعليم في الكتاب، إلا بعد نجاحه في امتحان اللغة الفرنسية[1].

وفي شهر يونيو من سنة 1906، أصدرت الإدارة الفرنسية في السنغال قرارا ينص على أنه باستطاعة كل معلم من معلمي الكتاتيب القرآنية أن يربح سنويا مبلغا يقدر بـ 300 فرنك فرنسي، شريطة أن يعلم تلاميذه اللغة الفرنسية فى الكتاب وذلك لمدة ساعتين في الأسبوع. وقد وزع هذا المنشور على كل معلمي الكتاب في السنغال ،ولكن يبدو أنه لم يترشح أي معلم من معلمي الكتاب لتعليم اللغة الفرنسية لتلاميذه[2].

2- كساد التعليم الفرنسي واتخاذ اللغة العربية وسيلة لإصلاحه:

لم يعرف قطاع التعليم الفرنسي في السنغال بعد انتهاء مهمة السيد فيديرب بأي تطور يذكر، بل ساده الفتور والكساد، وذلك خلال الثلاثين سنة التي تلت انتهاء مهمته؛ ولم يستطع خلفاؤه بمحاولاتهم العديدة إعطاء خطط جديدة لقطاع التعليم من بعده[3].

وفي سنة 1898 تكون المدارس الفرنسية الحكومية منعدمة تماماً في السنغال، ذلك لأن أغلبها قد أغلق إما بسبب عدم وجود التلاميذ، وإما بسبب عدم توفر الإطارات الكفء للتعليم. وفي نفس السنة المذكورة تشير الإحصاءات إلى وجود تسع (9) مدارس ابتدائية فقط في كامل البلاد، منها خمس (5) مدارس للذكور وأربع (4) مدارس للبنات من بينها مدينة واحدة حكومية، وأما ما تبقى فهو تابع للبعثات التبشيرية، أي ثمان (8) مدارس[4].

---

(1) D. BOUCHE: P. 298.

(2) D. BOUCHE: P. 703.

(3) G. HARDY: L'Ens. Indigènes dasn le Possos. Fr. d'Af. BRUABL. 1931 P. 261.

(4) G. HARDY: L'Ens. Indigènes. P. 266.

والمدرسة الحكومية هذه كادت تغلق في سنة 1870، وذلك لعدم وجود التلاميذ على الخصوص في النهار. أما الدروس المسائية فيحضرها عدد من التلاميذ[1].

وقد قدر عدد التلاميذ الذين يتابعون دروسهم المسائية في المدرسة المذكورة خلال سنة 1870 بما يقرب من 85 تلميذاً؛ ذلك ما تأكد منه السيد جواني (JOENNET) مفتش التعليم خلال زيارته للمدرسة. وقد بعث هذا الأخير تقريرا لوزير المستعمرات أبدى فيه تشاؤمه إزاء مستقبل مدرسة سان لويس هذه، وذلك على عكس ما لاحظه في مدارس الرهبان البيض، حيث نسبة حضور التلاميذ عادية، وطرق التعليم «مجدية وحسنة» في أغلبها[2].

ولقد حمّلت الإدارة الفرنسية نتائج هذا الوضع المتدهور للتعليم في السنغال، التعليم العربي في البلاد، المتمثل في الكتاتيب القرآنية، واتخذت من ذلك ذريعة للهجوم عليها، من ذلك أن المسئول السامي للبعثات التبشيرية[3] لمدينة سان لويس قد ندّد بعدد معلمي الكتاتيب القرآنية الموجودة في المدينة في تقرير وجهه إلى وزير المستعمرات الفرنسية، وحسب هذا الأخير، ففي مدينة سان لويس وحدها، كان يوجد بها ما يقرب من 37 معلماً للغة العربية، ويعلم هؤلاء المعلمون ما يقرب من 300 تلميذ، ومن بينهم سبعة (7) معلمين فقط أصلا من سان لويس[4].

أما من تبقى من هؤلاء المعلمين فقد قدموا من فوته السنغالية ومنطقة كايور وغيرهما. واعتبر المسئول السامي للبعثات التبشيرية معلمي اللغة العربية (غرباء) عن مدينة سان لويس، ومصدر مشاغبة، ومناهضين للحضارة الغربية في

(1) D. BOUCHE: P. 299.

(2) D. BOUCHE: P. 280.

(3) ABCHIVES: S. O. M. Paris Dossier SENEGAL No 10.(*)

(*) انظر تقرير السيد باربيي بتاريخ 29 - 5 - 1856 ملحق 2.

(4) D. BOUCHE: P. 280.

السنغال، ولا يعلمون الأخلاق لتلاميذهم بل يدفعونهم إلى الشحاذة[1]، والتسول والسرقة. وما يتحصل عليه هؤلاء التلاميذ من حبوب، ودقيق، ونقود، بواسطة أعمالهم المتنافية مع «القانون والأخلاق» يسلمونه إلى مسلميهم، كما ندد هذا الأخير في تقريره هذا «بالاستغلال» البشع الذى كان التلاميذ يتعرضون له من قبل معلمي الكتاب في السنغال، كإشعال النار للمعلم، وحصد المحاصيل الزراعية وجلب الماء له وغيرها من الخدمات[2]، التي اعتبرها الفرنسيون «استغلالا للإنسان من طرف أخيه الإنسان..»[3].

وقد عمدت الإدارة الفرنسية إلى تقليص عدد الكتاتيب القرآنية في السنغال، والتنقيص من عددها، ذلك ما يتضح في برنامج الحاكم في ريسون (GUY RISSON) الذي سطره سنة 1903[4].

إن قرار قي ريسون المذكور لا يختلف جوهريا في محتواه عن قراري فيديرب، وفاليرـ اللذين سبق وأن تطرقنا لهما، ولا يختلف أيضا هذا الأخير عن قراري ما نيفير (MATHIVSR) وجوبير (JOUBER) اللذين سنشير إليهما في أوانهما. وعموماً فإن هذه القرارات التي اتخذتها الإدارة الفرنسية في ميدان التعليم جاءت خدمة للتعليم الفرنسي في السنغال، ومحاولة لإنقاذ الوضع المتدهور الذي كان يتخبط فيه. وذلك على حساب التعليم العربي المتمثل في الكتاتيب القرآنية في البلاد.

وقد جاء قرار ريسون خصيصاً للتخفيض من عدد الكتاتيب القرآنية في

---

(1) انظر في هذا الصدد:(*)

(*) V. MONTEUIL: L' Islam Moir P. 22.

(*) A. GOUILLY:L'Islam dans L'AOF P. 222

(2) انظر في هذا الصدد:(*)

(*) G. HARDY: Une Conq. Mar. I'Brs. P. 157.

(*) قد سبق وأن وضعنا هذا الموضوع، انظر الفصل الثاني «المعلمون ومكانتهم الاجتماعية والثقافية».

(3) D. BOUCHE: P. 279.

(4) D. BOUCHE: P. 280.

السنغال، وذلك ليسهل على الإدارة الفرنسية مراقبتها؛ وقد يطلق بعض المؤلفين الغربيين على هذا البرنامج الأخير اسم: «تنظيم الكتاتيب القرآنية»[1].

وفي الحقيقة فإن الشيء الذي دفع بريسون إلى إصدار برنامج 15 يوليه 1903، تزايد عدد الكتاتيب القرآنية باضطراد، وذلك رغم الإجراءات التي اتخذتها الإدارة الفرنسية قبل ذلك[2] قصد عرقلة انتشار الكتّاب في السنغال.

والجدول التالي يبين لنا نتائج برنامج ريسون في نهاية سنة 1904م[3]:

برنامج ريسون ونتائجه

الدائـــرة(*)	عدد معلمي الكتاتيب سنة 1904	عدد التلاميذ	عدد معلمي الكتاب المرخص لهم سنة 1904
سان لويش	107	2.000	28
دكار	42	656	17
ريفيسك	50	382	4
قـــوري	3	83	2

والمتتبع للجدول السابق يدرك ما كان يرمي إليه صاحب البرنامج، ففي سان لويس مثلا كان عدد الكتاتيب فيها في سنة 1904 يقدر بما يقرب من 107 كتاباً التي خفضها البرنامج هذا إلى 28. وقد تعتبر النتائج التي توصل إليها برنامج ريسون المذكور كارثة كبرى بالنسبة للتعليم العربي في السنغال. ولحسن الحظ، لم يكن ذلك سوى سحابة عابرة، إذ بعد مضي سنتين على صدوره، ظهر عدم جدواه جلياً، واستغنى عنه نهائياً في نهاية سنة 1905.

---

(1) D. BOUCHE: P. 707.

(2) D. BOUCHE: Même page.

(3) D. BOUCHE: P. 707.

(*) يقتصر الجدول فقط على بعض المراكز الهامة في السنغال.

وهكذا مرة أخرى تصمد اللغة العربية في السنغال أمام التيارات المناوئة لها، وذلك بفضل تمسك السنغاليين بها[1]؛ والرغبة الملحة التي يُعلمون بها للدفاع عنها من جهة ونشرها بين الأوساط السنغالية من جهة أخرى[2].

3- فشل محاولات خنق التعليم العربي:

إذا كان الحاكم فيديرب قد أصدر قراراً 1857 ينص على إجراء الامتحانات المهنية والبيداغوجية لمعلمي الكتاتيب القرآنية في السنغال[3]. ونظيره فالبير قد أقر إجبارية تعلم اللغة الفرنسية على معلمي الكتاب في البلاد ليعلموها بدورهم لتلاميذهم في المدارس العربية[4]. فإن الحاكم جوبير (JOUBER) قد أصدر قراراً في سنة 1870، والذي يعتبر مكملاً للقرارين السابقين. وقد نص هذا القرار خاصةً على إجبارية تعلم تلاميذ الكتاتيب القرآنية اللغة الفرنسية، وذلك من طرف معلمي الكتّاب أنفسهم[5].

أما الحاكم ماتيفير (MATHIVSR)، فقد أصدر قرارا في سنة 1996 كان الهدف منه على الخصوص وضع حد نهائي لمنافسة التعليم العربي في السنغال للتعليم الفرنسي، وفي هذا المجال نص القرار المذكور على ضرورة غلق الكتاتيب القرآنية خلال الساعات التي تفتح فيها المدارس القرآنية[6].

ورغم كل هذه الإجراءات التي جاءت خصيصاً لعرقلة تطور التعليم العربي في السنغال، فإن عدد الكتاتيب القرآنية قد ازداد بصفة ملحوظة، خلال السنوات التي تلت هذه القرارات المذكورة[7].

---

(1) M. CARDAIRE: PP 115 - 121.

(2) V. MONTEUIL: L'Islam noir P. 127.

(3) انظر قرار فيديرب بتاريخ 2 - 6 - 1857.

(4) انظر قرار فالبير سنة 1870.

(5) D. BOUCHE: P. 318.

(6) D. BOUCHE: P. 318.

(7) انظر جدول مقارنة التعليم الفرنسي والتعليم العربي في السنغال.

وفي سنة 1899 قد قدر عدد الكتاتيب القرآنية في مدينة سان لويس بالسنغال وحدها بما يقرب من 90 كتاباً، يـدرس فيهـا ما يقـرب مـن 1289 تلميذاً ذكـراً، و 429 تلميذة إناثا. أما تلاميذ المدارس الفرنسية في نفس السنة فقد قدر عددهم بحوالي 875 تلميذاً، من بينهم 755 تلميذاً لا يلتحقون رسمياً بهذه المدارس الأخيرة، إنما يتابعون الدروس المسائية التي تنظمها المدارس الفرنسية؛ أي أن عدد التلاميذ الذكور المسجلين رسميا في المدارس الفرنسية في مدينة سان لويس خلال السنة المذكورة لم يتجاوز 420 تلميذا[1].

أما عدد التلميذات في مدينة سان لويس فقد قدر خلال سنة 1899 بما يقرب من 192 تلميذة يدرسن في مدرسة البنات الوحيدة من نوعها في البلاد[2].

وفي مدينة سان لويس خاصة، نلاحظ أن ازدياد عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية قد يفوق ازدياد عدد السكان؛ ففي سنة 1854 مثلاً قدر عدد تلاميذ المدارس العربية بما يقرب من 300 تلميذ، من بين 12.000 نسمة التي كانت تسكن المدينة، أي أن نسبة التعليم في هذه المدينة المذكورة قد تقدر بحوالي 2.5% بينما نسبة ازدياد السكان فهي أقل من ذلك بكثير. أما في سنة 1899 فقد قدر عدد التلاميذ الذين يدرسون في المدارس العربية في سان لويس بما يقرب من 1.700 تلميذ من بين أقل من 20.000 نسمة كانت تسكن المدينة آنذاك؛ أي أن نسبة التعليم قد تقدر بحوالي 8.5% خلال السنة المذكورة[3].

أما في مدينة دكار فقد قدر عدد الكتاتيب القرآنية خلال السنة المذكورة بما يقرب من 21 كتابا، يذهب إليها ما يقرب من 250 تلميذا ذكورا و 26 تلميذة إناثا[4].

أما في مدينة ريفيسك بالسنغال فقد قدر عدد الكتاتيب القرآنية فيها خلال سنة

---

(1) D. BOUCHE: Même Page.

(2)-(3)-(4) D. BOUCHE: P. 318 et suite.

1899 بما يقرب من 5 كتاتيب يذهب إليها حوالي 73 تلميذاً ذكورا و 17 تلميذةً إناثا. وفي مدينة قوري فقد قدر فيها عدد تلاميذ الكتاب بما يقرب من 40 تلميذا ذكورا و 12 تلميذة إناثا، وذلك خلال السنة المذكورة[1].

ويبدو أن إحصائيات التعليم العربي في السنغال خلال سنة 1907، هي التي تعطينا صورة كاملة على وضعية هذا التعليم الأخير، وإن كانت هذه الإحصاءات في أغلب الأحيان متضاربة مع بعضها البعض، غير أن هذا لا يمنعنا ان نستخلص من هذه الوثائق التاريخية بعض الحقائق التي آل إليها التعليم الفرنسي من جهة، وانتشار التعليم العربي في السنغال وتطوره بين سنتي 1907[2] و 1913[3] من جهة أخرى.

والجدول التالي يعطينا صورة واضحة عن تعلم اللغة العربية في المدارس العربية الحكومية من جهة والكتاتيب القرآنية للأهالي السنغاليين، وذلك خلال سنة 1907[4].

إذن نستطيع القول بأن تفوق التعليم العربي على التعليم الفرنسي، أمر لا يختلف فيه اثنان؛ وحقيقة تاريخية لا ينكرها ناكر. وذلك خلال الفترة الاستعمارية للسنغال الممتدة ما بين سنة 1854-1918[5]. أى أن اللغة العربية في السنغال هى التي كانت سائدة بين الجماهير، باعتبارها لغة الدين التي تدين به منذ حوالي تسعة قرون خلت[6]. ومن ثم يمكن اعتبار اللغة العربية لغة تقليدية في

---

(1) D. BOUCHE: P. 318.

(2) انظر جدول إحصائيات التعليم العربي في السنغال لسنة 1907.

(3) انظر جدول عدد تلاميذ الكتاب في السنغال خلال سنة 1913.

(4) ARCHIVES: S. O. M. Paris Dossier SENEGAL No 10 (*).

(*) انظر جدول إحصائيات التعليم العربي في السنغال لسنة 1907.

(5) انظر جدول عدد تلاميذ الكتاب في السنغال لسنة 1913.

(6) Amar SAMB: P. 28.

إحصائيات التعليم اليومي[1].

تعليم اللغة العربية في المدارس والكتاتيب القرآنية للأهالي السنغاليين

المستعمرة	تعليم عمومي			تعليم حر					المجموع العام		
	مدارس ذ (*)	أساتذة ذ	تلاميذ ذ	مدارس	أساتذة	تلاميذ	عدد التلاميذ ذ	عدد التلاميذ إ (*)	مدارس	أساتذة	تلاميذ
سان لويس	5	2	75	46	46	1.486	1.326	160	51	48	1.561
دكار	1	1	26	27	27	427	415	12	28	28	453
قوري	=	=	=	2	2	44	34	10	2	2	44
ريفيسك	=	=	47	20	20	550	519	31	21	21	597
اسكال	3	3	162	34	34	409	405	4	37	37	571
المنطقة المحمية	=	=	=	1.262	1.262	8.487	8.204	0283	1.262	1.262	8.487
المجموع	10	7	310	1.391	1.391	11403	10903	500	1.401	1.398	11.713

* ذ : ذكور * إ : إناث

البلاد، بحيث نجد في السنغال حوالي 25%[1] من الأشخاص الذين يحسنون هذه اللغة الأخيرة كتابةً ومخاطبةً.

وليس هناك ما يبرهن على أمر تفوق اللغة العربية في السنغال على اللغة الفرنسية، وذلك رغم مساعي أصحاب هذه اللغة الأخيرة لإحباط اللغة الأولى وعرقلة انتشارها في البلاد، إلا الجدول(*) التالي[2]:

المستعمرة	عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية			عدد تلاميذ المدارس الفرنسية			عدد البنات من بين المجموع		
السنة	1907	1908	1909	1907	1908	1909	1907	1908	1909
السنغال	9.082	10.711	10.933	371	1.037	789	21	555	354

* * *

(*) جدول مقارنة عدد تلاميذ الكتاب وعدد تلاميذ المدارس الفرنسية في السنغال بين 1907-1909.

(1) V. MONTEUIL: P. 222.

(2) D. BOUCHE: P. 768.